

جهود الخديوي إسماعيل التعليمية في مصر والسودان

(١٨٦٣-١٨٧٩)

دراسة تاريخية

م. وفاء خالد خلف

الجامعة المستنصرية / كلية التربية

المقدمة :

عندما تولى الخديوي اسماعيل باشوية مصر سنة ١٨٦٣ كان نظام محمد علي التعليمي قد اصبح انقراضاً. غير ان عهد الخديوي اسماعيل اعاد اعتبار للتعليم فبلغت ميزانية التعليم قبل عهد الاحتلال (٨٠,٠٠٠) جنيه والاهم من ذلك ان مجانية التعليم ، وتأسيس مدارس للبنات التي كانت الاولى من نوعها في الدولة العثمانية ، كلها قد تحققت ، وبلغ عدد تلاميذ المدارس الاولية (١١,٨٠٢) تلميذاً ضمتهم (٤٦٨٥) مدرسة بعد ان كان عددها (١٨٥) مدرسة فحسب عام ١٨٦٣ ، كان يدرس فيها مئة (١٠٠,٠٠٠) تلميذ وزداد عدد المؤسسات وامتدت اثار هذه الطفرة التعليمية الى الجيش ، فكان لكل فرقة من فرق الجيش مدرسة خاصة وعليه لم تترك في الجيش طبقاً لتقرير التعليم الحربي في عام ١٨٧٢ غير (٤٢) امياً فقط .

واصل اسماعيل الاصلاحات الثقافية ، التي بدائها محمد علي باشا حيث تطور التعليم الشعبي باللغة العربية وبذلت جهود كبيرة ، وفتحت المدارس القديمة التي اغلقت في عهد عباس باشا فحسب ، اضافة الى مدارس جديدة ايضاً .

Khedive Ismail Educational Efforts in Egypt and Sudan (1863-1879) Historical study

Preface:

When Khedive Ismail been crowned to Egypt on 1863. Education system of Mohammed Ali been collapsed but at era of Khedive Ismail have rebuild the education system then the budget of education amonnted (80,000) Egyptian pond and the important thing is the free education system, and establishing of girls schools which were the first of its kind of ottoman state, all of it been come true, the number of pupils of the primary school (11.802) pupils studying at (4685) school after it was (185) school only at 1863, it was

studying (100,000) pupils, and the education in situations have been increased and this development expanded to each the army. There was a special school for each pregade of the arm. Therefore according to the military report at 1872, there were just (42) not education personat the army.

Ismail kept going with his education reforms which started by Mohammed Ali Pasha where the popular education of Arabic language have been developed and gave a huge efforts and reopened the old schools that been closed at the era of Abbas Pasha, plus a new schools been opened.

التعليم بعهد إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) وتقسيمه :

التعليم في مصر :

لا نبالغ اذ ما لاحظنا ان الخديوي اسماعيل داب على العمل في سبيل تطوير مصر ، والحرص على مصلحة الاهالي وترقية مستواهم لاسيما على صعيد التعليم لذلك لم يكن اعتباطاً ان اطلق على عهده " عهد احياء العلوم والمعارف بمصر " (١).

يمكننا ان نقسم حركة التعليم في مصر في عهد الخديوي اسماعيل الى عدة اقسام : الاولى منها: المدارس التي انشأتها الحكومة ،وقامت بالانقاع عليها وتلك المدارس التي الحقّت بالمساجد والاقواف والكتاتيب القديمة. اما الثاني ، فيشمل المدارس التي انشأتها افراد من الطبقة الاجتماعية الاسلامية . بينما القسم الخاص كان خاصاً بمدارس الطوائف الشرقية غير المسلمة ، والقسم الاخير كان قد تمثل بمدارس الجاليات الاجنبية(٢).

اولا : المدارس التي انشأتها الحكومة:

عندما تبوأ الخديوي إسماعيل الحكم عام (١٨٦٣-١٨٧٩) في مصر لم يكن من مدارس سوى مدرسة ابتدائية ، واخرى تجهيزية ، فضلاً عن المدرسة الحربية في القلعة،ومدرسة الطب والصيدلة والولادة التي انشأها كلوت بك ، وكان هناك مدرسة بحرية في مدينة الإسكندرية(٣) ، وكانت جميعها في حالة سيئة من حيث كيانها ونظامها والتعليم والتربية فيها(٤) فعهد الخديوي إسماعيل بأمر أصلحها الى أدهم باشا ، وهو ثاني من تولى ما كانت تسمى نظارة المعارف بالقطر المصري في عهد محمد علي الكبير ، واستمر على دفتها عشر سنوات أي من عام (١٨٣٩-١٨٤٩) ، وأنشئ الخديوي اسماعيل كذلك مدرسة الزراعة ، والمدارس الثانوية في العباسية عام ، ١٨٦٣ (٥) وأسس عام ١٨٦٤ مدرستا رأس التين ، بجوار السراي الخديوي بالأسكندرية ، والناصرية بمصر ، في الشارع الموصل من عابدين الى مسجد السيدة زينب(٦) .

وظهرت المدرستان المذكورتان بمظهر جديد لم يعهده معهد علمي على الاطلاق من المعاهد السابقة ، وكانت الأولى تحت إدارة الناظر أحمد بك فتحي ، والثانية تحت إدارة الناظر برعي أفندي ، وكانت يتم فيها تعليم اللغة العربية ، والفرنسية ، والانكليزية ، والألمانية والجغرافيا والرسم الخطي والحساب العادي ، والحساب العالي ، والقرآن لغاية الصف الرابع ، واللغة التركية بدله من الفصل الرابع فما فوق ، كانت تضم قسماً داخلياً ، مع توفير الغذاء للطلاب الذين ينتمون الى الطبقة العامة ، اما ابناء البيكوات والباشوات في مدرسة الناصرية فأنهم كانوا يأكلون على حدة^(٧) .

وفي عام ١٨٦٥ تأسست عدة مدارس ، اهمها مدرسة في سراي عباس الاول^(٨) وهي مدرسة كبيرة ضمت ثلاثمائة طالب يعلمهم أحد عشر أستاذاً ، ومدرسة أخرى في بني سويف ، وغيرها بالمينا ، وسادسة بأسيوط ، وقد قدر عدد الطلاب ٦٠٣١ طالباً منهم ٥٠٢ داخلياً^(٩) . فضلاً عن ذلك أسس الخديوي اسماعيل مدرسة للفنون والصنائع وذلك عام ١٨٦٥ ، لسد حاجة الصناعة المصرية التي اخذت بالنمو والتطور على اثر ارتفاع الأسعار القطنية الناجم عن الحرب الأهلية الأمريكية^(١٠) .

كما أسس إسماعيل بالعباسية عام ١٧٦٦ مدرسة الري والعمارة (المهندسخان) بسراي الزعفراني ثم نقلت بعد عامين الى سراي درب الجماهير ، ومدرسة الطب والولادة ومدرسة الفنون والصناعات ومدرسة المحاسبة والمساحة ومدرسة اللسان المصري القديم عام ١٨٦٩^(١١) . وفي السياق ذاته أسس في عام ١٨٧٦ ثلاث مدارس صناعية غيرها ، وأنشئت في منطقة العباسية مدرسة أولية ، ومدرسة أعدادية ، ومدرسة هندسية ملكية كبرى عرفت بأسم (المدرسة البوليتكنيك) ، وكانت المجانية أساس التعليم في هذه المدارس كافة ، وتشمل الكسوة والطعام أيضاً^(١٢) .

وأسس مدرسة الادارة والالسن وكان مقرها بجوار قصر محمد علي الذي سكنه مدة طويلة قبل انتقاله الى قصر الجوهرة ، ولما اغلقت تحولت الى فندق عرف فيما بعد (فندق شبرد) وأسس ايضاً مدرسة دار العلوم عام ١٨٧٢^(١٣) .

لم يكتف الخديوي إسماعيل بهذه الأنجازات بل حقق أنجازاً تعليمياً بارزاً إلا وهو وضع قانون خاص للتعليم العام ، اصبحت المدارس بموجبه كلاً منظماً بعدما كلف لجنة تحت إدارة علي باشا مبارك ناظر المعارف والأشغال العمومية^(١٤) .

طبقاً لهذا القانون قسمت المدارس الى ثلاثة أقسام أبتدائية وهي الكتاتيب، ومدارس المديرية، وثانوية ، وعالية ، خلاف المدارس الخاصة^(١٥) .

أما الكتابيب بقيت لعام ١٨٧٤مستقلة عن الحكومة ، بطلابها التي وصل عدد طلابها الى اكثر من ١٢٠ الف ، وفقائها الذين كان معظمهم من فاقدى البصر وشدت على رفع مستوى التلاميذ العقلي ، لكي تؤهلهم للدخول في مدارس أعلى منها درجة ، كما أنها شددت عليها بالصيرورة الى مدارس ابتدائية حقيقية ، وذلك بما وضعت من تعليمات وأرشادات الفقهاء فيها ، وبما قررت لها من كتب ، وأدوات مدرسية ، وأدخال التعليم لغة أجنبية ومبادئ الجغرافية والتاريخ على برنامجها^(١٦).

وأما مدارس المديریات ، وهي مدارس ابتدائية حقه وأن اللائحة قد قررت تعميم أنشاؤها في بنادر المديریات كافة ، أشبه ما يكون بالنظام الأوربي ، وجعلت موادها الدراسية تتكون من : (القرآن ، اللغة العربية والفرنسية والانجليزية ، والحساب ، والتاريخ ، والهندسة ، والرسم) ، وجعلت الأصل فيه المجانية المطلقة سواء في ذلك الطلبة الداخلية والطلبة الخارجية . وأما المدارس الثانوية ، فتقرر أن تكون سبعة ثلاث في مديریات الوجه البحري ، وأربعة في مديریات الوجه القبلي ، وأن تكون المجانية المطلقة الأصل في التعليم فيها أيضاً . وأما المدارس العالية فجعلت تسعاً : ثمان في القاهرة ، وواحدة بالأسكندرية وكانت أهمها كلها مدرسة البوليتكنيك ومدرسة الطب^(١٧).

سراي الأمير مصطفى فاضل :

أما البوليتكنيك ، وكان يقال لها أيضاً مدرسة المهندسخانة فقد أنشئت أولاً في العباسية ، ثم نقلت الى درب الجاميز ، في سراي الأمير مصطفى فاضل أخو الخديو ، حيث كان مقر وزارة المعارف ، وكان تلامذتها الستون كلهم داخلية ، ويتعلمون في ست سنوات : الرياضة العليا ، والكيمياء ، والطبيعة والجيولوجيا ، والميكانيكية ، واللغة العربية واللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والرسم . وكان النابغون في الرسم كثيرين^(١٨).

ولما كانت تلك السراي واسعة جداً ، فقد نقلت إليها مدرسة الإدارة ، وعدد طلبتها خمسون ، ومدرسة المحاسبة والمساحة ، ومدرسة اللغات ، والمدرسة التجهيزية وطلبتها خمسمائة وخمسون ، ومعظمهم خارجية^(١٩). أضافة الى إنشاء مسرح واسع ، كانت تقام فيه الامتحانات العامة السنوية العامة ، ومكتبة نفيسة ، أنشأها في عام ١٨٧١ علي باشا مبارك ، ورتبها في ست حجر ، وكانت فيها مجموعة من كتب مكتوبة بخط اليد في لغات متعددة لاسيما العربية ، وأهمها نسخ قرآنية وجدت على قبور مؤسسي المساجد من سلاطين مصر السابقين ، وكانت ذات أهمية تاريخية عظيمة ، لأن الواحدة منها كتبت ووضعت على قبر مؤسس المسجد في بحر العام التالية لموته ، فكانت تدل على تطور الخط العربي ، على مر الأيام ، وتساعد على تحقيق عصر بناء

تلك المساجد والتنشيت من مواقيت التاريخ العربي ، وأنشئ في تلك السراي وذلك في ١٢ يوليو (تموز) عام ١٨٧١ معمل طبيعيات ، تام الأدوات ، يضا هي أكبر المعامل الأوربية من نوعه^(٢٠). ومما يستحق الذكر هنا ان الخديوي اسماعيل أسس مدرستان في سنتي (١٨٧٥ و ١٨٧٧) مدرستين للعميان على الطريقة الغربية المعروفة ، وكانت ذات فائدة عظيمة ، لكثرة العميان في مصر ، من جهة وكثرة وفتك الرمذ الصيدي بعيون سكانه ، كما أنشئ مدرسة للصم^(٢١). وعلينا ان نلاحظ ان اهتمام الخديوي اسماعيل على نشر التعليم بين مختلف طبقات المجتمع على حد سواء .

اما بالنسبة الى مدارس المساجد والأوقاف والكتاتيب القديمة التابعة للأوقاف وزراء المعارف ، فقد الحقت بوزارة المعارف بعد ان أدخلت عليها النظامات والتحسينات ن وهناك مدارس أسسها أفراد من الهيئة الاجتماعية الإسلامية أهمها مدرسة راتب باشا بالأسكندرية ، والسيوفية للبنات بمصر ، ومدرسة القبة للأولاد^(٢٢).

تعد مدرسة السيوفية للبنات ظاهرة فريدة وبارزة في عهد الخديوي اسماعيل فقد أنشأتها الأميرة تشسما آفت خانم أفندي زوجة إسماعيل الثالثة بايعاز وتشجيع من زوجها وعلى نفقته الخاصة ، وقد أعتبر هذا الأمر في حينه تحدي كبيراً على اعتبار أنه لم يكن هناك مدارس للبنات ما عدا المدارس التي أسستها الاخويات والارساليات المسيحية والطوائف غير الإسلامية ، والجاليات الغربية ، من جهة ولم يكن المسلمين يحبذوا هذا النوع من المدارس من جهة أخرى^(٢٣).

لقد رحبت زوجة إسماعيل بالفكرة والتي اشترت الأميرة سراي قديمة بالسيوفية ، وهي من أكثر أحياء العاصمة سكاناً وجددت بناءها ، فصيرتها مدرسة ، وفتحت أبوابها للطالبات في ربيع عام ١٨٧٣ ، وجعلت المدرسة داخلية مجانية ، وأن البنات استدعيت إليها من جميع طبقات الأمة بلا تمييز مذهبي أو اجتماعي^(٢٤).

وبعد النجاح الذي حققته هذه المدرسة أمر الخديو إسماعيل وزارة الأوقاف ، بإنشاء مدرسة أخرى للبنات ، وزاد أقبال الطالبات وكانت مدة الدراسة خمس سنوات وتتعلم فيها الطالبة القراءة العربية ، والكتابة ، والحساب ، والرسم ، والجغرافيا ، والموسيقى ، وأشغال الأبرة ، والطبخ ، والغسيل ، والتدبير المنزلي ، زيادة على تعلم اللغة التركية والفرنسية وتعليم القرآن الكريم للمسلمات^(٢٥).

كما اسست مدرسة ثالثة تلبى حاجات بنات العائلات الرفيعة^(٢٦) . ، ومدرسة رابعة تختلف عن سابقتها بأن تعلم فيها البنات الريفيات الفقيرات شؤون الخدمة المنزلية على أنواعها ، فأسست في العاصمة على نفقة زوجته الأولى^(٢٧).

وبعد نفي إسماعيل عام ١٨٧٩ ، أدمجت المدرستان في ادارة واحدة بعد الضائقة المالية الشديدة التي تعرضت لها لبلاد ، واما مدرسة تربية الخادمت فألغيت رغم حاجة البلاد إليها^(٢٨).

رابعاً : مدارس الطوائف الشرقية غير المسلمة .

خامساً : مدارس الجاليات الأجنبية^(٢٩).

الإنجازات العلمية الأخرى :

ومن الاهمية ان نشير هنا ان من اعمال الخديوي اسماعيل وانجازاته العلمية والثقافية الاخرى هي تأسيس دار العلوم ومدرسة الحقوق واتساع نطاق البحوث العلمية ، وتأسيسه دار الكتب وقاعة المحاضرات العامة ، والمتحف المصري ، ودار الآثار ، والجمعية الجغرافية وغيرها^(٣٠).

علاقة إسماعيل برفاة الطهطاوي :

عاصر رفاة رافع الطهطاوي^(٣١) في فترة حياته الأخيرة الخديوي إسماعيل ، والتي شهدت نشاطاً كبيراً له بعد أن لقيت شؤون الحياة من قبل إسماعيل كل الاهتمام فبلغت أعماله كل مرافق الدولة^(٣٢).

حاول الخديوي عباس الاول ان ينشر التعليم في السودان فأسس مدرسة في عام ١٨٥٣ وهي أول مدرسة نظامية في السودان ، وكان نظامها موافقاً لأصول المدارس المصرية ، وكان رفاة هو المسؤول عنها ولكنها أقفلت بعد عام دراسية واحدة قبل أن تؤدي ثمارها^(٣٣). وأن كل الأقسام والإدارات التي كان يشرف عليها رفاة الطهطاوي ألغيت عام ١٨٦٠ بما في ذلك إدارة الترجمة ، فظل بلا وظيفة محددة حتى عهد الخديوي إسماعيل الذي عرف كيف ينتفع من خدماته في نشر التعليم^(٣٤). وعينه عضواً في (قومسيون المدارس)^(٣٥).

لقد أعاد إسماعيل ديوان المدارس ، واستعان بكبار علماء التعليم فيه أمثال رفاة وعلي مبارك الذي كان لهذا الديوان الدور الكبير في إدارة التعليم في مصر ، والذي توجه بصدد لائحة تنظيم التعليم التي وضعتها لجنة كان رفاة أحد أعضائها ، والتي نصت على تنظيم المدارس الأميرية والأهلية وتخليص معاهد الدراسة المدنية من تأثير التعليم العسكري^(٣٦).

وفي عام ١٨٦٣ أعاد الخديوي إسماعيل إدارة الترجمة مرة أخرى ، وعين رفاة مديراً لها ، وعينه في الوقت نفسه عضواً في لجنة المدارس التي كانت تشرف على تنظيم التعليم في مصر فكان خير معاون لعلي باشا مبارك^(٣٧).

ورقي رفاة رافع الطهطاوي الى رتبة الممتازين^(٣٨) ، وفي عام ١٨٦٨ أعيدت مدرسة الألسن الى الحياة بعد ضمها لمدرسة الإدارة وكانت هذه مركزاً للدراسات القانونية ، وقد أصبحت النواة التي خرجت منها مدرسة الحقوق ، أو كلية الحقوق كما نسميها منذ تأميم الجامعة عام ١٩٢٥ . وقد كانت السنوات العشر الأخيرة من اخصب السنوات في حياة رفاة رافع الطهطاوي^(٣٩).

حين أنشأ علي مبارك مجلة روضة المدارس عام ١٨٧٠ جعل رفاة الطهطاوي رئيس تحريرها ، وقد ظل رئيساً لتحرير هذه المجلة ثلاث سنوات حتى مات في ١٨٧٣ ، ولقد كانت هذه المجلة الأدبية الاجتماعية نصف الشهرية منبراً لصفوة مثقفي عصر إسماعيل ، فكان بين محرريها علي باشا مبارك وعبد الله باشا فكري ومحمد قنبر باشا وإسماعيل باشا الفلكي ، وصالح بك مجدي ، وهو أنجب تلاميذ رفاة الطهطاوي والشيخ حمزة فتح الله ، إسماعيل أفندي صبري (الشاعر إسماعيل باشا صبري) ، ومعهم كان علي فهمي رفاة باشا ابن رفاة الطهطاوي ، وكان من كبار رجال التعليم ، وكانت هذه المجلة توزع بالمجان على تلاميذ المدارس لنشر الثقافة بين الطلاب^(٤٠).

كان طهطاوي قد أصدر كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " عام ١٨٣٤ ، و"مناهج الأبواب المصرية" عام ١٨٦٩ ، ويعد الكتابان من أهم الكتب لاسيما الثاني في فلسفته الاجتماع والسياسة والتشريع ، وقد قرر إسماعيل كجزء من خطته لجعل مصر دولة عصرية أو " قطعة من أوربا" كما كان يقول : وضع أسس القانون المصري على اساس القانون الفرنسي الذي يسمى عادة "كود نابليون" أي "مدونة نابليون أو قانون نابليون" . لجأ الى رفاة وتلاميذه لكي يحققوا له ما أراد فأشترك رفاة الطهطاوي وتلاميذه لكي يحققوا له ذلك . فاشترك رفاة وعبد الله بك السيد في ترجمة القانون المدني الفرنسي وأشترك عبد الله أبو السعد أفندي وحسن فهمي في ترجمة قانون الإجراءات تحت إشراف رفاة وترجم محمد قدوري باشا قانون العقوبات ، أما صالح مجدي بك ، فقد ترجم قانون الأحكام الجنائية ، وكانت هذه الموسوعة القانونية هي الأساس الذي بنى عليه القانون المصري الحديث^(٤١).

الصحف والمجلات :

أن النهضة التي شهدتها مصر في عهد إسماعيل ، قد خلقت تطوراً للحركة الفكرية ، والتي قادت الى مولد الصحافة الوطنية ، فظهرت الصحف العلمية والأدبية والسياسية ، منها صحيفة " وادي النيل" التي أصدرها عبد الله أبو السعود عام ١٨٦٦ ، ومجلة "روضة المدارس" التي كان لرفاعة الدور الكبير في جعلها مدرسة فكرية وتربوية للشعب^(٤٢) . وصحيفة "الوطن" و"ابو نضارة" وغيرها^(٤٣).

المناهج الدراسية :

عمل رفاة الطهطاوي جاهداً من أجل نيل ثقة الخديوي إسماعيل فعمل جل اهتمامه على تغيير المناهج الدراسية القديمة بأخرى جديدة لاسيما في ميدان اللغة والنحو ، فقد أفاد طهطاوي التعليم في زمن كبير إذ أنه في ميدان التربية والتعليم فقد لاحظ أن كتب النحو المستخدمة في المدارس جارية على الأسلوب القديم ، ولا تصلح للعصر الحديث ، فوضع كتاباً جديداً سماه "

التحفة المكتبية " في القواعد والاحكام والأصول النحوية بطريقة مرضية وحاول رفاة في هذا الكتاب أن يبسط القواعد النحوية ، ويلخصها من الشوائب والتعقيدات المختلفة ، وعرضها على شكل جداول مختلفة ، حتى يتمكن الطلبة من حفظها وفهمها ، كما ألف رفاة كتاباً في تعليم المرأة ، أطلق عليه " المرشد الأمين للبنات والبنين " ، وقد يكون ظهور مثل هذا الكتاب اليوم حدثاً عادياً ، أما ظهوره في عام ١٨٧٢ ، فقد كان حدثاً غير عادي ، إذ تناول فكرة تعليم المرأة بالتحليل والتفصيل وضرب النماذج والأمثلة من التاريخ في وضوح وجلاء ، وروى لنا أخبار كثير من النساء الشهيرات كزوجة أبي الأسود الدؤلي العالم النحوي ، وحرقة بنت النعمان بن المنذر صاحب يومي السعد والنحس في الجاهلية ، وأم حكيم التي تشبب بها الشاعر قطري بن الفجاءة (٤٤).

جهود الخديوي في مجال الترجمة والتأليف :

أن ما حمله عهد إسماعيل من اتجاهات جديدة في الحكم تختلف عما كان في عهد جده محمد علي ، تركت آثار واضحة على النظام التعليمي والحياة الثقافية بوجه عام ، فتحول أساس الحياة المدرسية في عهد إسماعيل من نظام (الثكنات الحكومية) الى نظام المعاهد ذات المسؤولية المشتركة بين الحكومة والاهالي ، وجمع النظام التعليمي في عهدين المدارس الحكومية والمكاتب الاهلية والمعاهد الازهرية ومدارس الارساليات ، وهي ظاهرة التنوع في التعليم التي عدها الاستاذ شفيق غربال اثنان ما خلفه محمد علي واحتفظ به اسماعيل في السياسة التعليمية .

فقد سارت حركة الترجمة والتأليف في هذا العهد على المنوال نفسه ، فمن قبل عاشت حركة الترجمة في عصر محمد علي على نحو عامان ، كان الجهد خلالها متجهاً كله الى الترجمة فقط ، ولم يجد التلاميذ المدارس ومدرسوها وخريجوها الفراغ الكافي ليستجيبوا للثقافات التي تلقوها فيؤلفون ، كذلك ترجمتهم كانت ترجمة تصطبغ بالصبغة الرسمية ، فهم على حد قول الدكتور الشيال : كانوا مترجمين محترفين لا هاويين يترجمون ما يؤمرون بترجمته ، لا ما يريدون ترجمته ، وما يؤمروا بترجمة كان علماً خالصاً لا يستطيع القراء العاديون على ندرتهم ان يقرأوه او يتذوقون ، وهم ان فكروا في قراءته لا يستطيعون فهمه ، وبينما كان الواجب ان يؤلف الافندية للشعب او يترجموا له ، لم يفعلوا ذلك ، فكان تأثير الترجمة في عصر محمد علي في المجتمع المصري ضئيلاً جداً ان لم يكن منعدماً ، فلما استؤنفت النهضة في عهد الخديوي اسماعيل ، كان تلاميذ مدرسة الألسن القديمة عدتها وعمدها ، فانطلقوا يترجمون من جديد بل لقد خطت الخطوة الثانية الطبيعية ، فانطلقوا يؤلفون منها هو رفاة رافع الطهطاوي يضع كل مؤلفاته في عهد اسماعيل (٤٥). " منهج الالباب العصرية في مناهج الاداب المصرية " ، " والمرشد الامين في تربية البنات والبنين " و " انوار ترفيق الجليل في اخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل " و " التحفة المكتبية لتقريب اللغة

العربية " وغيرها ، فهذا الاثر في الواقع وان تاخر به الزمن هو اثر الترجمة في عصر محمد علي الذي قام به خريجو مدرسة الالسن في عصر اسماعيل ، بل لعله اقوى اثارها .

وكان من جوانب الطفرة التعليمية التي شهدتها مصر ، بفضل ميل الخديوي اسماعيل الى تشجيع النهضة التعليمية استضافة لجمال الدين الافغاني ابتداء من عام ١٨٧١ ، وسرت في البلاد مع نزول جمال الدين بديارها^(٤٦) . ، روح الثورة على الاستبداد والانصياع للنفوذ الاجنبي وتطلعت الطبقة المتعلمة في مصر ومعها حلقة الاعيان الى الحياة النيابية واتجه ممثلو الطبقتين في مجلس الشورى الى محاولة تحقيق هذا المطلب^(٤٧) .

التعليم في السودان :

عملت مصر على نشر التعليم في السودان بكل جد واخلاص ، وعليه فانه يمكننا ان نقسم

التعليم في السودان الى قسمين :

اولاً : التعليم الديني في السودان :

فقد عمرت مصر المساجد والخلوي للعبادة وتدريس القرآن والدين الحنيف ، واجرت الرواتب والارزاق على الفقهاء والشيوخ وائمة المساجد واصحاب الخلوي والزوايا ، وشجعتهم على المضي في نشر الثقافة الاسلامية في ارجاء السودان واسس رواق للسنارية في الازهر ، ولا نبالغ ان قلنا ان السودانيين كانوا مقبلين على الالتحاق بالازهر كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا^(٤٨) ، ومنهم من تتلمذ هو وابنه على شيخ واحد وشيوخ ، بل منهم من اقام وتزوج بمصر وزاول مهنة التدريس بالازهر كالشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السناري وأبن الشيخ عبد الرحمن أحمد البديري ، ومن السودانيين الذين التحقوا بالازهر في تلك الأثناء أثنان من ابناء مديرية كسلا هما الفقيهين أحمد عثمان ، ابناء الشيخ عمر العالم القاضي السابق لمديرية تاكه وكانا قد حفظا القرآن حفظاً تاماً واحاطا ببعض المسائل الفقهية فاحضرهما جعفر مظهر باشا الى مصر في عام ١٨٦٧ ، وهو الذي كان حكمدار للسودان في الفترة ١٨٦٦-١٨٧١ وسلمهما للشيخ مصطفى العروسي شيخ الجامع الأزهر في ذلك الوقت واوصاه بهما خيراً . وكان غرضه من هذا أن يشجع الذين حفظوا القرآن من أهالي السودان وحصلوا على بعض المبادئ النحوية والفقهية على الأنتساب الى الجامع الأزهر لأكمال علومهم وثقافتهم ، لكي يمكن بذلك ترقية الثقافة والتقدم الفقهي بالسودان ، وحتى يمكن وجود علماء وفقهاء كالقضاة والمفتشين والأئمة ، وعليه يمكن أعداد المدرسين والواعظين لتعليم الشعب السوداني بأصول الدين والأحكام الشرعية وزاد أقبال السودانيين على الأزهر^(٤٩) بعد أن توافرت كل عوامل التشجيع وأمن في الطريق ، ويؤيد ذلك ما ورد عرضاً في حديث للأمام الشيخ محمد عبده^(٥٠) ، دار بينه وبين مندوب (بال مال جازيت) حينما كان بانكلترا ، وكانت الثورة المهدية في عنفوانها ، وقد سال المندوب الإمام : " اليس السودانيون قوماً متعصبين " فكان

الجواب : ليس السودانيون أكثر تعصباً مني ، فحينما كنت أعلم الفلسفة في القاهرة كان كثيرون من الطلبة المصريين يخشون حضور دروسي ، بينما كان هناك أربعة وثمانون طالباً من السودانيين يحضرون جميعاً ليستمعوا إلي ، أنهم ليسوا متعصبين^(٥١).

كان من سياسة الخديوي إسماعيل أنه عمل على التفرقة بين العلماء والفقهاء ، في السودان فقد وضع صفة " مميز " الطائفة العلمية والفقهيّة ، ومميز الوظائف القرآنية والحفاظ وغيرها ، فقرر استمرار مرتباتهم النقدية والعينية ، وأما بقية الفقهاء من أرباب المرتبات فلكونهم مزارعين فيمكنهم كسب معيشتهم ، ولذلك حذف مرتباتهم ، أما أذ أردوا زراعة ساقية من الأراضي فيعاملون كما يرى المدير^(٥٢).

ولما كثرت طلبات الإعانة المالية من جانب الفقهاء الى الخديوي اسماعيل فكان يحيلها بدوره الى الحكمدارية لفحصها ، فكان يتبين في كثير منها أن هؤلاء الفقهاء قد جبلوا على الكسل أنتظاراً لهذه المرتبات بدلاً من العمل بالزراعة ، وينتقد البعض سياسة الخديوي اسماعيل نحو التعليم الديني وخاصة في تقديم الاعانات لها والتي لن تكن تخضع لنظام محدد وثابت بل كانت مركزة في يده دونما خطة ، وأنه لو حدث هذا التنظيم لها لما أستغل الفقهاء هذا التشجيع القائم على الثقة ، ولو كان هناك مصلحة أو ديوان للتعليم - كما هو الحال في مصر - أو لو عمل نظام للتعليم بالسودان كما كان الحال بمصر لتشجيع التعليم الأهلي والكتاتيب لربما كانت النتيجة أفضل مما حدث ، ولو أتيح لمشروع جعفر باشا مظهر أن يرى النور لوجد مبرر قوي لحرمان الكسالى والمهملين والادعياء من شيوخ الخلوات واصبح هناك دليل واضح على فشلهم في أداء رسالتهم التعليمية ، فحل غيرهم محلهم ، ولربما شجعهم تنظيم التعليم الأهلي على أن يحسنوا في أنفسهم مادة وأسلوباً ، وباختصار شديد قد أنشقت السياسة الواضحة والخطة الحكيمة لأدارة البلاد تعليماً وتنقيفاً ، ومر ذلك ، كما سبق القول^(٥٣).

أن ظروف مصر الاقتصادية والمالية منها على وجه الخصوص لن تكن مشجعة لوضع مثل هذه السياسات والخطط التعليمية المستقبلية التي يحتاج الى جهود وموارد مالية في المقام الأول^(٥٤).
نخلص الى القول بأن الخديوي اسماعيل على الرغم من الجهد المتواضع الذي بذله في السودان لتحسين ناحية التعليم الديني وتطويره فقد كان هذا الجهد كبيراً مقارنة مع أسلافه الذين أهملوا المنطقة ولم يعملوا شيئاً.

ثانياً : التعليم المدني (الحكومي) في السودان :

تعد المدرسة النظامية التي تأسست في العام ١٨٥٣ البنى الأولى للتعليم المدني في السودان التي امر بتأسيسها عباس الاول في عام ١٨٥٣ وكان نظامها موافقاً لأصول المدارس المصرية ، ولكنها أفلت بعد عام دراسية واحدة قبل أن تؤدي ثمارها^(٥٥).

أما في عهد الخديوي أسماعيل بدأت السودان تشهد عودة الى التعليم الحكومي المدني ، على خلاف التراجع الذي حدث زمن عباس وسعيد باشا^(٥٦) ، وقد كان ذلك في عهد الحكماء موسى حمدي الذي قدم اقتراحاً في نهاية عهد سعيد بادخال كل من يرغب من ابناء العمد والأعيان والأهالي في دواوين المديرية وفي ديوان الحكمارية لتعليمهم فن الكتابة من حسابات وتحريرات وغيرها حتى يمكن الاستفادة منهم بدلاً من طلبه كتبه من مصر نظراً الى أن الأخيرين يتكفون مصاريف كثيرة بالإضافة الى اختلاف المناخ الذي يؤثر على صحتهم^(٥٧).

بدأت مناقشة هذا الاقتراح في عهد اسماعيل الذي أقره وأدخل عليه تعديلاً جوهرياً حيث قال : " بما أنه من اقصى الأمال أنتشار حالة التمدن والرفاهية وحسن التوطن والعمارية ومن لزوم ذلك استحصال الرعايا على أكتساب العلوم ليمتازوا بها ويكونوا دائماً محبوبين على حب الوطن أو متشوقين لنوال ثروة الامتياز والتقدم في المعارف والفنون فلذلك فقد سنجح لخاطرننا لزوم تجديد وتنظيم مكتب على طرف المدير بالخرطوم بحيث يترتب به خوجات تركي عربي ممن تثبت مهاراتهم في ذلك ليعلموا قدر خمسمائة نفر تلامذة من أهالي تلك الجهات...^(٥٨) . ومضى يقول يجب أن يتم عمل مكاتبين بدلاً من مكتب واحد إذ كان ذلك موافقاً لأصول السودان^(٥٩).

وهكذا وسع الخديوي أسماعيل الدائرة التعليمية فبدلاً من الموافقة على انتظام الصبيان من أبناء العمد والاعيان والأهالي في دواوين الحكومة لمجرد التدريب على فن الكتابة ، اقترح إنشاء مدرسة لتكون مؤسسة صالحة للتعليم بل زاد على ذلك واقترح أن تنشأ مدرسة ثانية أن كان ذلك مناسباً للبلاد^(٦٠).

ويبدو أن هذا السخاء الأسمايلي قد صادف هوى في نفس الحكماء فطلب أن تنشأ خمس مدارس لتعم الفائدة في جميع مديريات السودان^(٦١). وشرح الحكماء مطلبه قائلاً : " ... بما أن من المعلوم ان بلاد السودان عبارة عن ديار متسعة وأن المديرية بعيدة بعضها عن بعض ، وأن قصر " خمسمائة التلميذ " السالفة ذكرهم على مدرسة أو مدرستين يوجب تمتع أهل المديرية التي بها تلك المدرسة بحب ثمرات التمدن وحرمان أهل غيرها من تلك الثمرات النافعة ، وبما أن افتتاح المدارس من جملة مراحم ولي النعمة واحساناته السنوية ، فلو أسست خمس مدارس صغيرة في مديريات الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكة بدلاً من مدرستين عظيمتين وتعلم في كل منها مائة تلميذ كي تشمل ثمرات التمدن وأنتشار العلوم وأهالي عموم بلاد السودان ومستوطناتها ويمتازوا بتحصيل العلوم النافعة " ^(٦٢).

وجاء في الأمر الصادر بإنشاء تلك المدارس أنها أنشئت لنشر العلوم والمعارف والحضارة ، " وحيث أن تأسيس خمس مدارس في المديرية المذكورة لنشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة

على الوجه المشروع موافق لنفس المصلحة ، بناءً عليه بادروا الى اجراء ايجابه واوسعوا في تعلم سكان الجهات المذكورة وتقدمهم باحسن وجه" (٦٣).

وهكذا أراد الحكمدار أن يعطي كل مديرية سودانية نصيبها من التعليم المدني فينشئ في كل واحدة منها مدرسة ، وربما يكون في هذا التوزيع على كافة المديریات السودانية رد على أولئك الذين يرددون أن التعليم في تلك الفترة كان يقتصر على أبناء الترك وحسب دون أبناء السودان ، وقد كان الحكمدار مصيباً عندما وافق على الا يزيد عدد تلاميذ المدارس الخمس عن خمسمائة تلميذ كما طلب الخديوي^(٦٤). وربما أراد من هذا التقييد عدم التوسع فجأة في عددهم ، بل عليه أن يتروى قليلاً حتى يضمن السماح بالمدارس الخمس ثم يترك زيادة العدد للظروف ، وربما أيضاً كان قد استفاد من تجربة مدرسة الخرطوم زمن عباس الأول ، حين عزف التلاميذ عن الألتحاق بها بشكل كبير فلم يسرف في التفاؤل^(٦٥). لقد وافق الخديوي على طلب الحكمدار قائلاً : " ... وحيث ان ازدياد وانتشار أثار المدينة والعمران في ربوع السودان وتعميم ثمرات العلم والمعارف بواسطة إنشاء وفتح المدارس الخمس على الوجه المذكور أمر في محله وموافق لاماننا ورغباتنا .. فبناء عليه يجب أن تبادروا باجراء موجبه بالسعي والاهتمام بخصوص تعليم وتقدم أهالي الجهات المذكورة " (٦٦).

أفتتاح مدارس السودان والمواد الدراسية :

بعد ذلك كله تم افتتاح تلك المدارس في يونيه عام ١٨٦٣ ، والتي أصبحت تحت الأشراف الفني لديوان المدارس ، وتتبع نفس الخطط الدراسية المعمول بها في المدارس المصرية من حيث البرامج وخطط التدريس والأجازات^(٦٧).

أما المواد الدراسية المقررة في تلك المدارس فكانت اللغة العربية والقرآن الكريم واللغة التركية والحساب والنحو والصرف وخط الثلث والرقعة والمنطق^(٦٨). وبعد مرور سبع سنوات على افتتاح تلك المدارس ونظراً لأن تلاميذها ومعلميها أظهروا كفاءة فقد طلب حكمدار السودان جعفر مظهر رفع مرتبات القائمين على التدريس بها فوافق الخديوي على ذلك تشجيعاً لهم على بذل المزيد من الجهد^(٦٩).

ويبدو أن تعليم اللغة التركية في دنقلة ببلاد النوبة لم يلق نجاحاً كبيراً حيث كانت برامج المدارس الخمس تحوي مادة اللغة التركية فلم يبذل معلمو هذه الصفوف هناك عناية كافية في تعليمها ، فقد ذكر مدير عموم دنقلة وبربر في خطاب الى المعية السنية أن القائم على تدريسها بدنقلة لا يؤدي مهمته كما ينبغي وأنه مشغول بصيد الأسماك ، وكذلك الحال بالنسبة لمدرس هذه اللغة بمدرسة بربر ، ويقترح المدير طبقاً لذلك الاستغناء عنها والاكتفاء بتدريس اللغة العربية والقرآن ومبادئ النحو والحساب^(٧٠). وإذا كان الفشل في تعليم اللغة التركية في دنقلة يعود أساساً

الى تقاعس القائمين على تدريسها فإنه ينبغي أن نشير أيضاً الى حقيقة هامة وهي أن اللغة الأساسية لسكان منطقة دنقلة وسائر بلاد النوبة كانت اللغة النوبية وليست العربية فهم يتعلمون العربية كلغة أجنبية تماماً ، بينما الوضع غير ذلك بالنسبة لتلاميذ مدرسة الخرطوم وغيرها فكان أهل دنقلة يدرسون لغتين أجنبيتين معاً ، وبذلك يمكن تفسير ما ذكره مدير دنقلة وبربر تفقد مدرسة دنقلة ، ووجد بين تلاميذها من تقدمت بهم السن واصبحت اعمارهم " تتراوح بين العشرين والثلاثين ، ومع ذلك لا يفهمون شيئاً في النحو والصرف التركي وانهم يفهمون شيئاً قليلاً في العربي " (٧١).

انشاء مدارس اخرى في السودان :

لم يقتصر عهد الخديوي إسماعيل في السودان على تلك المدارس الخمس ، بل أضيفت إليها مدارس أخرى ، ففي سنار أنشئت مدرسة ، وفي مصوع أنشئت أيضاً مدرسة ، حيث نقرأ في إحدى الوثائق بتاريخ ٢ صفر عام ١٢٨٤ هـ م يونيه عام ١٨٦٧ يطلب فيها رياض باشا من أحد مهندسي الجيزة أن يرسل الرسوم الخاصة بهذه المدرسة لدراستها^(٧٢). كذلك فقد أنشئت مدرسة في سواكن ، وطلب الخديوي أن يتم إنشاء هاتين المدرستين في تلك الجهات من نفس المواد المتوفرة بها من مواد البناء فيما عدا الأشياء الضرورية التي يمكن جلبها من مصر ، وكلف "منسجرك" بفتح هاتين المدرستين في عام ١٨٧٣^(٧٣) ، فضلاً عن ذلك كله افتتحت مدرسة واحدة في جنوب السودان ، حيث تشير الوثائق الى أسم " زايد عبد الله" الذي كان ناظراً لمدرسة مديريةية البحر الأبيض^(٧٤).

ومن بين المدارس التي أنشئت في السودان مدرسة الرقيق المحرر ، فقد نصت معاهدة ٤ اغسطس اب عام ١٨٧٧ ، الخاصة بإلغاء تجارة الرقيق في تلك الجهات ، على أنشائها وأن يلحق بها من يحرر من الأطفال الأرقاء ، وعلى هذا الاساس قام محافظ شرقي السودان وسواحل البحر الأحمر بتأسيس هذه المدرسة وأختيار سواكن مقراً لها^(٧٥). كذلك مدارس كان قد إنشائها أمين باشا في مديريةية خط الاستواء^(٧٦).

وفي عام ١٨٧٧ تم افتتاح مدرسة بهرر ، وقد جاء في تقرير جريدة اركان حرب الجيش المصري في العام نفسه أن أكثر معارف أهل هرر هي علوم الشريعة الإسلامية خاصة مذهب الإمام الشافعي ، وأن أطفالهم لا يحسنون التكلم باللغة العربية ، وأن كانوا يقرأون ويكتبون بها ، ولما رأى رئيس المأمورية (رؤوف باشا) تأخر المعارف هناك شرع في إنشاء مدرسة صغيرة لتدريس النحو والحساب والخط وترتيل القرآن الكريم^(٧٧).

بعد ذلك اسست مدرستان لتعليم فن التلغراف أحدهما في الخرطوم والأخرى في كسلا، هذا وقد أنشئ أمين بك " دكتور شينترز" مدرسة لتعليم ابناء الأهلين في مدينة اللادو عاصمة مديريةية خط الأستواء ، وتم في عام ١٨٧٩ إنشاء مدرسة طبية في السودان ، وفي هذا الصدد ورد في عدد

"الوقائع المصرية" الصادر بتاريخ ١١/ أغسطس آب ١٨٧٩ ما يأتي : " أنشئت في جهة السودان مدرسة طبية لتعليم التلامذة الفنون الطبية منها ، فاحتاج الأمر الى معلم يعلم التلاميذ فن الكيمياء والطبيعة ، فطلبت حكمدارية السودان تعيين أحد المعلمين لذلك . فعين لهذه الوظيفة رفعه السيد أفندي نعيم الأجزائي ، حيث أن له دراية تامة بذلك ، وعدد للمالية بصرف ما يلزم له من الترحيلة واثمان الكتب ، وقد نجحت هذه المدارس التي اسستها مصر في السودان ، وأدت رسالتها^(٧٨) .

ومما يستحق الذكر هنا قول الباحث غوردون^(٧٩) . ان أصدر امراً بإلغاء المدارس الأميرية في السودان بدعوى أنها كانت تمثل عبئاً مالياً لا طاقة لمصر به ، وانه حاول إغلاق مدارس الأهالي ومدارس الكاثوليك ، إلا أنه لم ينجح في مسعاه، فطلب بعدم سفر الطلاب الناجحين في المدارس الى مصر بحجة أن الإدارة لم تعد بحاجة إليهم^(٨٠) .

وفي عهد جعفر باشا جرت محاولة لأدخال علمي الطب والصيدلة لأول مرة في السودان والخروج من دائرة تخريج الموظفين للإدارة الى ان اخر من الوان العلم وحتى يرتفع بالخدمة الطبية للشعب السوداني ، وكان هذا المشروع يقضي بجمع عشرين تلميذاً من تلاميذ مدارس السودان ليتعلموا الطب والصيدلة تحت إشراف طبيب مستشفى الخرطوم^(٨١) .

ملخص القول بأن الفرق كان واضحاً بين سياسة الخديوي اسماعيل (ابن البلد) الذي سعى قدر المستطاع من تعليم بلاده قدر المستطاع وبشتى الوسائل ، وبين سياسة المحتل المتمثلة بغوردون الذي حاول أن يحبط الهمم أو يوقف دائرة التعليم من خلال رفضه سفر الطلبة السودانيين الناجحين الى مصر ، ولكن في نهاية الامر استمرت عجلة العلم والتعليم في السودان بالسير رغم انف الجهلة والمعادين للعلم والسائرين في ركابه .

الخاتمة :

يمكننا القول أن عصر الخديوي اسماعيل كان عصر تقدم وتطور في شتى ميادين الحياة لاسيما من الناحية التعليمية ، إذ سعى هذا الخديوي جاهداً من أجل رفع المستوى العلمي للشعب سواء كان المصري أو السوداني حتى أنه أطلق على عهده عهد أحياء التراث والعلوم والمعارف في مصر .

ويمكننا ان نستخلص عدة نتائج اهمها ان عهد التعليم في السودان الحديث يعود الفضل منه الى جهود الخديوي اسماعيل ، الذي عمل بدأب واضح على ان يراعي حاجة السودان لتأسيس المدارس كرعايته لمصر في هذا المجال ، فقد اسفرت جهوده على تأسيس العديد من المدارس في السودان التي قرر لها ان تتحول الى بؤرة للعلم والنور وسط بيئة مترعة بالجهل والتخلف وقرر لهذه المدارس وغيرها ان تضع السودان على طريق التطور .

هوامش البحث

- (١) الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) ، المجلد الاول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص١٨٩ .
- (٢) الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) ، ص١٨٩ .
- (٣) عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ط٢ ، دار المستقبل ، لبنان ، ١٩٤٣ ، ص١٨٧ .
- (٤) الياس الايوبي ، تاريخ الخديوي اسماعيل ، ص١٨٧ .
- (٥) عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ص١٨٧ .
- (٦) الياس الايوبي ، تاريخ الخديوي اسماعيل ، ص١٨٧ .
- (٧) الياس الايوبي ، المصدر نفسه ، ص١٨٨ .
- (٨) من ابرز الولاة في مصر وهو من خلفاء محمد علي باشا ، تميزت فترة حكمه بأغلاق المدارس وضعف مختلف مجالات الحياة ، للمزيد ينظر : ناصر الأنصاري ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ، دار الشرق ، ط٣ ، ص١٩٨٩م ، ص١٢٣ .
- (٩) محمد شفيق غريال ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، لبنان ، ١٩٨٧ ، ص١١٨٦ .
- (١٠) عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ص١٨٦ .
- (١١) الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) ، ص١٨٩ .
- (١٢) عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ص١٨٦ .
- (١٣) ياس الأيوبي ، المصدر نفسه ، ص١٩٠ .
- (١٤) المصدر نفسه ، ص١٩٠ ؛ مكي شببكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص٢٩ .
- (١٥) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص١٩٠ .
- (١٦) الياس الأيوبي ، المصدر نفسه ، ص١٩١ .
- (١٧) المصدر نفسه ، ص١٩١ .
- (١٨) المصدر نفسه ، ص١٩١ .
- (١٩) الياس الايوبي ، المصدر السابق ، ص١٩٢ .
- (٢٠) الياس الأيوبي ، المصدر السابق .
- (٢١) أحمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، ١٩٩٦ ، ص٨١ .
- (٢٢) الأيوبي ، المصدر السابق ، ص٢٠٤ ؛ عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ص١٨٧ ؛ عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج١ ، ط٢ ، ١٩٤٨ ، ص١٩٩ .
- (٢٣) الأيوبي ، المصدر السابق ، ص٢٠٦ ؛ عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج١ ، ص١٩٩-٢٠٠ .

- (٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .
- (٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .
- (٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
- (٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ، تعرف على الضائقة المادية التي تعرض لها اسماعيل . ينظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ، علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠٠ .
- (٢٨) للمزيد من التفاصيل عن هاتين المدرستين ينظر : الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا ١٨٦٣-١٨٧٩ ، ص ٢١٠ ؛ عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ص ١٨٥-١٨٦ .
- (٢٩) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤-٢٤٦ ؛ أحمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، ص ٨١ .
- (٣٠) الياس الأيوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤-٢٤٦ .
- (٣١) رفاة رافع الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) : شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة ولد في طهطا ونشأ فقيراً ، وقدم الى القاهرة صغيراً ، وتخرج في الجامع الازهر ، انتهز فرصة تعينه اماماً لأول بعثته تعليمية أرسلت الى فرنسا فتعلم الفرنسية ، وبعد عودته عمل مترجماً في المدارس الفنية التي انشائها محمد علي ، ثم مديراً لمدرسة الترجمة (الالسن فيما بعد) ترجم بنفسه كتب عديدة . للمزيد عن حياة رفاة ينظر : محمد عمارة ، رفاة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، دار المستقبل العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٣٥-٤٨ .
- (٣٢) لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية ، دار التقدم ، موسكو ، ص ١٩٨-١٩٩ .
- (٣٣) علي إبراهيم عبده ، مصر وأفريقية في العصر الحديث ، المكتبة التاريخية ، دار القلم ، د. ت ، ص ٣٢-٣٣ ؛ نعوم شقير ، جغرافية مصر والسودان ، دار الثقافة ، بيروت ، د. ت .
- (٣٤) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، ج ٢ ، دار الهلال ، ١٩٦٩ ، ص ٩٨ .
- (٣٥) وهو المجلس الأعلى الذي كان يشرف على التعليم والحركة التربوية في البلاد . ينظر : دائرة معارف الشعب ج ٣ ، ص ٦٨٠ ؛ الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا ، ص ١٩٠ .
- (٣٦) عبد الكريم حسن الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاة الطهطاوي ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات ، ١٩٨٩ ، ص ٢٨ .
- (٣٧) صالح مجدي ، حلية الزمان بمناقب خدام الوطن ، مصر تحقيق جمال الدين الشيال ، ص ٤٣ ؛ لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، ص ٩٩ ؛ للمزيد عن علي مبارك ينظر : عبد الرحمن الرافي ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٠٨-٢٣٦ .
- (٣٨) علي إبراهيم عبده ، مصر وأفريقية في العصر الحديث ، ص ٣٣ .
- (٣٩) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، ص ٩٨-٩٩ .

- (٤٠) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث ، ص ٩٩ ؛ عبد الرحمن الرفاعي ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- (٤١) لويس عوض ، المصدر نفسه ، ص ٩٩-١٠٠ .
- (٤٢) عبد الكريم حسين الشباني، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاع الطهطاوي ، ص ٢٨ ؛ احمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، ١٩٩٦ ، ص ٨١ .
- (٤٣) احمد زكريا الشلق ، المصدر السابق ، ص ٨١ .
- (٤٤) دائرة معارف الشعب ، ج ٣ ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٨٢ .
- (٤٥) صالح مجدي ، حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، ص ٢٠٥ .
- (٤٦) عبد الرحمن الرفاعي ، عصر اسماعيل ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- (٤٧) ابراهيم شحاته حسن ، مصر والسودان ، ص ٧١ ؛ عبد الرحمن زكي ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
- (٤٨) علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقية في العصر الحديث ، ص ٣١-٣٣ ؛ محمد فؤاد شكري ، الحكم المصري في السودان (١٨٢٠-١٨٨٥) ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ ، ص ١١٨-١١٩ .
- (٤٩) علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقية في العصر الحديث ، ص ٣١-٣٢ .
- (٥٠) محمد عبده : من ابرز الفلاسفة والمفكرين العرب ، كان قد ساعدت على النهضة والتطور بالمجتمع . للمزيد ينظر : قدرتي قلعي ، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الاسلام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ١٧-٢٢ ؛ عباس محمود العقاد ، عبقرى الاصلاح والتعليم الاستاذ الامام محمد عبده ، دار مصر للطباعة ، ص ١١٦-١١٨ .
- (٥١) علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقية في العصر الحديث ، ص ٣٢ .
- (٥٢) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤١-١٨٨١) ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ٤٩٠ .
- (٥٣) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤١-١٨٨١) ، ص ٤٩٠ .
- (٥٤) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤١-١٨٨١) ، ١٩٨٥ ، ص ٤٩٠ .
- (٥٥) علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقيا في العصر الحديث ، ص ٣٢-٣٣ .
- (٥٦) محمد سعيد باشا ابن محمد علي والي مصر في ١٤ يوليو ١٨٥٤ الى ١٨ يناير ١٨٦٣ ، وعم سلفه عباس الاول ولكنه اصغر منه سنا ، توفي سعيد في يناير ١٨٦٣ . ينظر : ناصر الانصاري ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ، دار الشروق ، ط ٣ ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٣ .
- (٥٧) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤١-١٨٨١) ، ص ٥٠٢-٥٠٣ ؛ امين سامي ، تقويم النيل وعصر اسماعيل ، المجلد الثالث ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

- (٥٨) مكي شببكية ، السودان عبر القرون ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٤ ؛ ابراهيم الحارذلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم ، ص ١٥ ؛ محمد فؤاد شكري ، الحكم الثنائي في السودان (١٨٢٠-١٨٨٥) ، ص ١٢١ .
- (٥٩) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي ، ص ٥٠٣ .
- (٦٠) المصدر نفسه ، ص ٥٠٣ .
- (٦١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٣ ؛ مكي شببكية ، السودان عبر القرون ، ص ١٢٤ .
- (٦٢) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ؛ علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقية في العصر الحديث ، ص ٣٢-٣٣ .
- (٦٣) مكي شببكية ، السودان عبر القرون ، ص ١٢٤ ؛ محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص ١٢١-١٢٢ .
- (٦٤) زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٣٥) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٠-٨١ .
- (٦٥) حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي ، ص ٥٠٤ .
- (٦٦) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٤ ؛ امين سامي ، تقويم النيل وعصر ، المجلد ٣ ، ج ٣ ، ص ٤٧٦-٤٧٧ .
- (٦٧) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٤ ؛ شوقي الجمل ، تاريخ السودان وادي النيل ، ج ٢ ، ص ١٤٢-١٤٣ ؛ ابراهيم عبده ، مصر وافريقيا في العصر الحديث ، ص ٣٣ .
- (٦٨) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٤ ؛ ابراهيم الحارذلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، ص ١٥ .
- (٦٩) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ .
- (٧٠) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ .
- (٧١) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٦ .
- (٧٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠٦ .
- (٧٣) زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٥٣) ، ص ٨٠-٨١ .
- (٧٤) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٧ ؛ شوقي الجمل ، سياسة مصر في البحر الأحمر ، ص ٢١٨ .
- (٧٥) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٦ .
- (٧٦) زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٥٣) ، ص ٨٠-٨١ .
- (٧٧) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٧ ؛ شوقي الجمل ، سياسة مصر في البحر الأحمر ، ص ٢١٨ .
- (٧٨) علي ابراهيم عبده ، مصر وافريقية في العصر الحديث ، ص ٣٢-٣٣ .

- (٧٩) تشارلز جورج جوردن اوغوردين (١٨٣٣-١٨٨٥) قائد واداري بريطاني أشارك في حرب القرم حرب الصين (١٨٦٠) حيث اسهم في الاستيلاء على بكين . كان قائد الجيش الصيني الذي نفذ لقمع ثورة يتبنج ، عينه الخديوي اسماعيل الحاكم العام للسودان (١٨٧٣-١٨٨٠) ثم عاد الى السودان كي يجلب الجيش المصري عنه (١٨٨٤-١٨٨٥) ولكن قوات المهدي حاصرت الخرطوم عشرة أشهر وأخيراً سقطت في يدها وكان مقتله عاملاً كبيراً في سقوط وزارة جلاستون ١٨٨٥ . الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، ١٩٨٧ ، ص ٦٦٢ . للمزيد عن حياة غوردين ينظر : هـ.س . جالسون ، غوردين باشا ، تعريب عزيز يوسف عبد المسيح ، مطبعة جمعية نشر المعارف المسيحية ، القاهرة ، ص ٣-٧ .
- (٨٠) حمدنا الله مصطفى حسن ، المصدر السابق ، ص ٥٠٨ .
- (٨١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٨ .

المصادر

- ١- ابراهيم الحارذلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٧٧ .
- ٢- أحمد زكريا الشلق ، معالم تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، الدوحة ، ١٩٩٦ .
- ٣- احمد عبد الرحيم مصطفى ، علاقات مصر بتركيا في عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣هـ/١٨٧٩م) ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٤- امين سالي ، تقويم النيل وعصر اسماعيل ، المجلد الثالث ، ج ٣ .
- ٥- الياس الأيوبي ، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا (١٨٦٣-١٨٧٩) ، المجلد الاول ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص ١٨٩ .
- ٦- حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (١٨٤١-١٨٨١) ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٥ .
- ٧- زاهر رياض ، السودان المعاصر منذ الفتح المصري حتى الاستقلال (١٨٢١-١٩٣٥) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٨- شوقي الجمل ، سياسة مصر في البحر الاحمر ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- ٩- صالح مجدي ، حلية الزمان بمناقب خادم الوطن ، مصر تحقيق جمال الدين الشيال .
- ١٠- عباس محمود العقاد ، عبقرية الاصلاح والتعليم الاستاذ الامام محمد عبده ، دار مصر للطباعة .

- ١١- عبد الرحمن الرفاعي ، عصر اسماعيل ، ج٢ ، ط٢ ، القاهرة ، مطبعة دار الفكرة .
- ١٢- عبد الرحمن زكي ، هذه هي القاهرة ، ط٢ ، دار المستقبل،لبنان ، ١٩٤٣ .
- ١٣- علي إبراهيم عبده ، مصر وأفريقية في العصر الحديث ، المكتبة التاريخية ، دار القلم ، د.ت.
- ١٤- قدري قلنجي ، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الاسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- ١٥- لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية ، دار التقدم ، موسكو .
- ١٦- لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث، ج٢ ، دار الهلال ، ١٩٦٩ .
- ١٧- محمد المخزومي ، جمال الدين الافغاني ، دار الفكر الحديث ، ط٢ ، لبنان ، ١٩٦٥ .
- ١٨- محمد شفيق غريال ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، لبنان ، ١٩٨٧ .
- ١٩- محمد عمارة ، رفاة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، دار المستقبل العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٢٠- محمد فؤاد شكري ، الحلم المصري في السودان (١٨٢٠-١٨٨٥) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
- ٢١- مكي شبكية ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر الميلادي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ٢٢- مكي شبكيه ، السودان عبر القرون ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٢٣- نعوم شقير ، جغرافية مصر والسودان ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت.
- الرسائل والاطاريح :**

- ١- عبد الكريم حسن الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاة الطهطاوي ، اطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، معهد الدراسات ١٩٨٩ .

الموسوعات :

- ١- ناصر الانصاري ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة الى اليوم ، دار الشروق ، ط٣ ، ١٩٨٩ .
- ٢- دائرة معارف الشعب ، ج٣ ، دار مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٣- الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، لبنان ، ١٩٨٧ .